

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[118] وعمّروا طويلا في قصور مشيّدة .. اُهلكوا بسبب إغراضهم عن أمر الأ وطغيانهم وعنادهم والشرك والظلم، وبقيت آثارهم درساّ بليغاّ من العبر للآخرين. وفي آخر آية من الآيات محلّ البحث إشارة قصيرة إلى عاقبة خامس الأمة من الأمم، وهي قوم نوح فتقول:

(وقوم نوح من قبل إنّههم كانوا قوماّ فاسقين)(1). و "الفاسق" يُطلق على من يخرج على حدود الأ وأمره، ويكون ملوّثاّ بالكفر أو الظلم أو سائر الذنوب. والتعبير بـ "من قبل" لعلّه إشارة إلى أنّ قوم فرعون وقوم لوط وعاداّ وثمود كان قد بلغهم ما انتهى إليه قوم نوح من عاقبة وخيمة، إلّا أنّهم لم يتنبهوا، فابتلوا بما ابتلي به من كان قبلهم من قوم نوح! * * * تعقيب 1 - أوجه عذاب الأ! ممّا ينبغي الالتفات إليه أنّّه ورد في الآيات الآنفة الإشارة إلى قصص خمس الأمم من الأمم المتقدّمة "قوم لوط، فرعون، عاد، ثمود، وقوم نوح" وقد أُشير إلى جزاء أربع من هذه الأمم وما عوقبت به، إلّا أنّّه لم ترد الإشارة في كيفية عقاب قوم نوح. وحين نلاحظ بدقّة نجد كلّ الأمة من الأمم الأربع المتقدّمة ذكرها عوقبت بنوع من العناصر الأربعة المعروفة! فقوم لوط عوقبوا بالزلزلة والحجارة (من السماء) أي أنّهم أهلكوا بالتراب، وقوم فرعون أهلكوا بالماء غرقاّ - وعاد اُهلكوا بريح صرصر عاتية (سريعة) وثمود اُهلكوا بالصاعقة و "النار". _____ 1 - هناك حذف في الجملة المتقدّمة وتقديره كما يقول "الزمخشري" في "الكشاف" وأهلكنا قوم نوح من قبل، بالرغم من أنّ أهلكنا لم تكن في الآيات المتقدّمة إلّا أنّ هذه الكلمة تستفاد منها بصورة جيّدة ..